14 me Année No. 681

Lundi—22—7—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٥ — ٢٢ يوليو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

حقوق المناقشـــة

للأستاذ عباس محمود العقاد

للمناقشة حقوق .

ولا يرعى للمناقشة حقها من يناقش طالب المعرفة والانصاف كما يناقش طالب الحزازة والادعاء ، أو يناقش المفيد المستفيد كما يناقش المفترى الذى يضيع على القراء أوقاتهم فى شفاء ضغن ومرضاة غرور .

فلا بد من تفرقة بين المناقشتين .

ومن حق الكاتب على نفسه ألا يخاطب المخلص المهذب الذى يصدق النية فى سؤاله والرد عليه ، كما يخاطب إنسانا يضمطه حقه وينحله ما لم يقله ويسىء فهم ما قاله ويتمالى عليه بالباطل وهو منه فى مرتبة دون مرتبة التلميذ من الأستاذ .

ومن حق القراء على الكاتب ألا يسوى أمامهم بين من يخدمهم فى طلب الحقيقة ، ومن يخدم نفسه فى شهوة مريضة لا تعنيهم ولا تعنى الأدب والثقافة .

ومن حق الأخلاق على من يرعاها أن يكشف هذه الأمور ويعطيها ما هو واجب لها من التنبيه والتعقيب .

ونرجو أن يكون فيما تقدم جواب للسائل الأديب الذى يسألنا عن « يوم نعمنا ويوم بؤسنا » كما سماها وهو يشير إلى أسلوبنا فى الإجابة على أناس بالرفق واللين ، والإجابة على أناس آخرين بالشدة والتقريع . ونقول له إننا لو فعلنا غير ذلك لكنا مخطئين ، لأن الناس لا يسألون جميعا بنية واحدة ولا لغرض واحد ، وينبغى أن يكون الجواب على حسب اختلاف الأغراض والنيات ونرجو أن تكون فيما يلى أمثلة من المناقشات التى تنجم عن سوء الفهم أو سوء النية أو عنهما معا فلا تجاب إلا كما ينبغى أن تجاب .

***

من الحقائق الأدبية التى لا تحتاج إلى عناء كبير فى تفصيلها أن نظم الحكم الشائعة والأمثال المتواترة يتيسر لكل من يقدر على النظم أو على وزن التفاعيل ، ولا يدل حتما على ملكة شعرية ولا على حكمة فطرية ، وأن ورود بعض الحكم فى أشعار الفحول المطبوعين لا يثبت لنا أن كل قائل ينظمها هو شاعر مطبوع يضارع أولئك الفحول المطبوعين .

هذه من البدائه التى لا تحتاج إلى عناء .

وقد أشرنا إليها فى كتابنا عن شعراء مصر وبيئاتهم وقلنا فى سياق الكلام على عبد الله فكرى باشا : « إننا لا نعرف بين كبار الشعراء فى العالم كله واحدا صرف إليها شعره وجعلها من أغراض فنه » .

وهذا أيضا صحيح ، لأن كبار الشعراء فى العالم معروفون ، وليس نظم الحكم والأمثال من الأغراض التى تتعذر على من دونهم من الشعراء بكثير .

وعلى مكان هذه الحقيقة من البداهة لا مانع عندنا أن يجهلها بعض الناس ، وأن يتشككوا فى عمومها وشمولها ، ولكن المانع عندنا أن يُعتبر تقريرنا لها « جريمة تهويل » واقحام للدعاوى فى غير موضعها ... كأننا نزج بأسماء كبار الشعراء فى مقام لا يدعونا إليه إلا المباهاة بذكرهم ، والظهور بهذه المباهاة !

وهذا الذى صنعه السيد عبد الغنى حسن حين سأل مستهولا : ما دخل كبار الشعراء فى العالم كله فى ميدان هو بشعراء العربية أشبه ؟ » .

فان هذا الاستهوال نفسه لهو غاية ما يمكن من الادعاء مع جهل الصواب وقلة الرغبة فى الفهم الصحيح .

فلو أن السيد عبد الغنى كلف عقله عناء الفهم قبل أن يستكثر علينا هذه العبارة لفهم أننا لم نذكر فيها كلمة واحدة يتأتى حذفها بغير اخلال بالمعنى المقصود .

فتحقيق الملكة الشعرية لا يكون بالرجوع إلى صغار الشعراء ولا أوساط الشعراء ، ثم هو لا يكون بالرجوع إلى كبارهم فى قطر واحد ، لأن التقاليد الموضعية قد تولع بعض الشعراء فى قطر من الأقطار بأسلوب لا يرتضيه كل شاعر كبير . ولا سبيل إلى التحقق من الملكة المطبوعة إلا إذا عرضناها على « كبار الشعراء فى العالم كله » وعرفنا حظها منهم أو حظهم منها ، فنعرف هل هى عرض فى شعرهم أو هى أصل صميم .

فللشعراء الكبار فى العالم كله دخل فى هذه المسألة ولم نقحمهم نحن تحة لغير مناسبة ولا دلالة . وإذا كان السيد عبد الغنى يفهم أننا نتكلم فيما لا نعلم حين نتكلم عن كبار الشعراء فى العالم كله فليس له علينا حق الحمد والتسبيح ، ولا حق الاطراء والمديح!

* * *

وأغرب من السيد عبد الغنى حسن فى تصحيحاته وتهويلاته سيد آخر من بيروت يدعى « عمر فروخ » ... ولعله من أصحاب العلم والأدب بالرخص « الأمريكانية » أو « الفرنسيوية » التى ابتلى بها الشرق العربى فى الزمن الأخير .

وصلت إلينا لهذا الفروخ رسالة عن ابن الرومى يقول فى مقدمتها : « قال سليمان البستانى : وكأنى بابن الرومى وفيه لمحة من كنيته إلى جرثومة أصله أو عرقانه ، كانت تحمله على تحدى هوميروس فى كثير من أساليبه ومعانيه وتشبيهاته . وقرأ عباس محمود العقاد هذا فبنى عليه فصلا تاما من كتابه ابن الرومى ٢٦٣ — ٣٠٢ وبعض فصل ... »

ثم تناول هذا الفروخ قلمه الأحمر وتفضل بتوزيع الدرجات والتوبيخات فقال : « لقد غفل البستانيان والعقاد عن طبيعة الاجتماع وفاتهما كثير من حقائق التاريخ وأسس الأدب . ان الوراثة العرقية أو وراثة الدم تؤثر فى الاستعداد العام أو فى الذكاء الفطرى وفى الصفات الجسمانية ، ولكنها لا تؤثر فى اتجاه التفكير ولا فى الانتاج الأدبى . ثم ان ابن الرومى نشأ فى بيئة عربية يجهل اللغة اليونانية وكذلك أبوه ، ولم يكن من سبيل لاتصاله بالأدب اليونانى القديم أو المتأخر ، وأن عبقرية ابن الرومى لم تتكون إلا كما تتكون كل عبقرية غيرها من عوامل فى البيئة وعناصر الشخصية ... »

ثم رفع هذا الغر مقرعة المعلم على رؤوسنا وراح يهزها ويقول « إن بعض المتأدبين عندنا تأخذهم حمية الانشاء فيندفعون فى كتابة خيالية ، من غير تحقيق أو اهتمام بما كتبه العلماء والباحثون ... »

فهل علم القارىء إذن ماذا نحن وماذا هذا الفروخ المجهول ؟

هذا الفروخ المجهول معلمنا نحن المتأدبين ، وحذار أن تخطىء فتزعمنا من الأدباء ! ! وهو يتربع الديوانية ويتبختر الفطحلية ، ويعجب لهؤلاء التلاميذ الذين يسودون الصفحات بالانشاء ، ولا يفقهون ما قاله العلماء ، ولا يعرضون عليه كتبهم ليوزع عليها الحمراء والخضراء ، من درجات التصحيح والاملاء .

وما الذى اخطأنا فيه نحن المتأدبين ، فأدبنا هذا الفروخ على هذا الخطأ المبين ؟

أخطأنا لأنه افترى علينا ، ولأن الذى قلناه نقيض ما نسبه إلينا . والعجيب أنه يذكر الصفحات ، وهذا الذى قلناه فى تلك الصفحات :

قلنا : « ربما كان القول بأن ابن الرومى رجل حساس متوفز الأعصاب ملىّ المزاج نشأ فى حضارة زاهية فأجابته وأجابها ، وأخذت منه وأخذ منها ... أقل فى العجب من تفسير عبقريته بأنها عبقرية يونانية على اعتبار أنها موروثة عن آبائه اليونان .

إذ من هم آباؤه اليونان ؟ لا ندرى أهم من اغريق الجزر ، أم من اغريق البلاد المعروفة باسم اليونان ، أم من اغريق آسيا الصغرى التى كانت تدور الحرب فيها وحولها بين المسلمين ودولة الروم . ومن الصعب الذى يحتاج إلى التفسير أن نقول إن هؤلاء الاغريق جميعا سليقة واحدة وأمة واحدة وعنصر واحد ينحدر منه الرجل وينتقل إلى بيئة أخرى وينجب الأبناء فى بيئته الجديدة فيجتمع فيهم كل ما تفرق من خصائص العبقرية الفنية التى تسمى الآن بالعبقرية اليونانية . ثم نحن لا نعلم أن الاغريق فى قديم عهدهم كانوا عنصرا واحدا ينتمى إلى سلالة واحدة ، لأن امتزاج الأنساب بينهم وبين الأسيويين ثابت لا شك فيه ، واقتباسهم من عقائد الأسيويين وفنونهم ولغاتهم ثابت كذلك أقطع ثبوت... ولا يمكن أن نجزم برأى فى وراثة الفطرة الفنية ولا سيما الفطرة فى الشعب كله حتى لو عرفنا الأصل الذى تحدر منه ابن الرومى بين أصول اليونان الكثيرة . فقد كان فى بلاد اليونان نفسها ألوف من أبناء الشعب اليونانى المحاطين بالبيئة اليونانية فى جميع ظواهرها وبواطنها ، فلم ينبغ منهم فى عصر ابن الرومى شاعر مثله ولا نبغ منهم فى العصور السابقة التى أزهرت فيها آدابهم وفنونهم شاعر من طرازه فى جميع خصائصه وملكاته . فلو أننا نقلنا ابن الرومى من الأدب العربى إلى الأدب اليونانى لكان فذا فى أدبهم كما كان فذا فى أدبنا ... ولو أننا بحثنا مزية أصيلة فى الفطرة اليونانية تنتقل مع الدم وتسرى فى خلال التكوين لأعيانا أولا أن نحصر هذه الفطرة ، ثم أعيانا بعد ذلك أن نحصر هذه المزية . فنحن لا نفسر عبقرية الشاعر حين نسميها بالعبقرية اليونانية ، ولكننا نصفها فى كلمات موجزة وصفا يقربها إلى الأذهان ، ويطبعها بهذا الطابع المعروف عند المطلعين على الآداب ... »

فالعبقرية اليونانية التى نطلقها على ابن الرومى هى إذن صفة أدبية فنية لم نجزم بموقعها من الوراثة العرقية ، ولا أهملنا الإشارة إلى هذه الوراثة لأنها مما لا يجوز إهماله ، فكيف قوّلنا الفروخ ذلك الكلام فى تلك الصفحات وهذا ما قلناه فى تلك الصفحات؟ هذا ما قلناه فى كتاب قرأه الألوف ولم نقله فى كلمة شفوية أو مقال غير معروف ، وهكذا افترى علينا ذلك الفروخ بما شئت لاسمه من تقديم أو تأخير فى الحروف . فما ذا يقال لمثل هذا ؟ أيناقش مناقشة الأكفاء ؟ أيخاطب خطاب العلماء والفضلاء ؟ كلا ، بل ذلك خليق أن ينخع نخعا من تلك الجلسة الفطحلية وتلك الحبوة الديوانية ، ثم تنزع من يده العصا التى يهزها هز المعلم على رؤوس معلميه ليحس بها فوق رأسه ويقال له بحق : إن العقاد يا هذا ليتواضع غاية التواضع حين يسمح لأساتذتك أن يجلسوا بين يديه جلسة التلميذ المستفيد . فتأدب أيها المسكين ، لأنك لا من الأدباء ولا من المتأدبين .

* * *

ومخلوق آخر يسمى المشنوق ، يشكو المجاعة ولا طعام لمخنوق!

ويتحدث عن « المجاعة الأدبية فى مجلة الأديب ... وهو حديث لا يقال فى مجلة ، ولا يقال فى السوق ...

قال : « وإذا بعباس محمود العقاد يترك ابن الرومى وتنشه والعبقريات ليكتب فى كل موضوع كخادمة المنزل التى تصلح لجميع الغرف ... »

فالعقاد ملوم إذا كتب فى موضوع واحد ، والعقاد ملوم إذا كتب فى أكثر من موضوع ، والعقاد مكذوب عليه لأنه لا يزال يكتب عن أبى الشهداء وعن باكون وعن أثر العرب فى الحضارة الأوربية ، وعن هذه الشجرة ، وعن غير هذا وذاك ، ولكن ينبغى أن يلام والسلام ، وأن يطلب منه إطعام من لا يقبل الطعام ، وأن يفك الحبال عن الحلوق والأقدام ، ليأكل المشنوق ويعشى من يعجز عن القيام .

لا يا عبد الله ... ما هكذا تكون الأشياء .

ليس العقاد خادمة ، فى كل غرفة طاعمة ، بل هو سيد فى نعمة دائمة ، له فى كل غرفة مائدة ، وعلى كل مائدة حلوق طاعمة ... ولكنه لا يفتح حلوق المشانيق ، لأنها حلوق صائمة ، ليس لها فى القائمة حساب ولا لها فى الحساب قائمة .

وهكذا يكتب لهؤلاء ... فعلى من اللائمة ؟ ...

عباس محمود العقاد